قراءة في مصطلح الأدب الاسلامي

Reading in the term Islamic literature

منصف دقاشي
جامعة حمة لخضر الوادي (الجزائر).moncefdegachi@gmail.com

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2024 / 06 / 30	2024 / 07 / 21	2024 / 09 / 01

مُلخّص البحث

"الأدب الاسلامي" مصطلح ذو مدلول قيمي، فالأدب أو الآداب بمختلف أجناسها تشكل جزءا مهما من أنثروبولوجيا وتراث الانسان، والإسلام كدين حضاري أثرى وأثّر في كثير من الآداب والثقافات الانسانية لا يمكن موضوعيا معاداته أو رفضه. هذا المصطلح هو جزء من التصنيفات العالمية للآداب التي تحمل في طيّاتها موروثات وأيديولوجيا.

وخلصنا إلى أنّه لا مسوغ لرفض مصطلح "الأدب الاسلامي"، لعدم وجود ما يتناقض مع إنسانية الانسان وعالمية الأدب في كلّ المدلولات التي أحالتنا إليها لفظة الاسلام، وبما عرفناه من أسس ومعالم التي حدّدها أصحابه له، مع تلتمس العذر للذين يرفضونه، حتّى لا يُحشر في الزاوية ويُقصف بكلّ المدلولات الشائنة.

الكلمات المفتاحية: الأدب، الإسلامي، المصطلح، النقد، المدلول.

Abstract

"Islamic literature" is a term of value. Literature or morals of its various races form an important part of the anthropology and heritage of man, Islam as an enriched cultural religion and has influenced many human morals and cultures that cannot objectively be hostile or rejected. This term is part of the global classifications of ethics that carry legacies and ideology.

We concluded that there was no reason to reject the term "Islamic literature", because there was no contradiction with man's humanity and the universality of literature in all the connotations to which the word Islam referred us, and the foundations and milestones defined by its owners, while seeking excuse for those who reject it, so that it was not crammed into the corner and bombarded with all the outrageous connotations.

keywords: literature, Islamic, criticism, the term, signified.

1. مقدمة:

شهد الأدب والدراسات النقدية الأدبية في القرنين الأخيرين تطورات في أشكاله ومضامينه، أصابته في العمق. ومن المصطلحات التي لفتت الانتباه وارتبطت بالأدب العربي لفظة "إسلامي" نجد: الأدب الاسلامي، النقد الاسلامي، والأدب المقارن الاسلامي. بعد أن كانت لفظة "العربي" كافية للدلالة على الموروث الاسلامي.

ولقد لقي هذا المصطلح قبولا من فئة الأدباء ذوي التوجه الاسلامي باعتباره يعبّر عن الموروث الحضاري والثقافة الإسلامية التي صبغت الحياة العربية على مدار أربعة عشر قرنا، وبما يمثله الأدب من حامل لخصائص المجتمع العربي الاسلامي ويؤلف العديد من الكتب تحت هذا العنوان ومن أبرز هؤلاء شوقي ضيف. في حين رفضته فئة أخرى أمثال سعيد علوش ومرزوق بن تنباك وغيرهم، باعتباره توجها أيديولوجيا لا يتماشى مع الحداثة وما شهده العالم من تطور على جميع الصعد، وبما اكتسبه الأدب من مفاهيم جديدة نقلته من مرآة للمجتمع إلى نص آلي قابل للتفكيك والتركيب ليحمل دلالات مغايرة وتأويلات متتالية.

وفي محاولة منّا للوقوف على مصطلح "الأدب الاسلامي" وبلورة رؤية واضحة بين المؤكدين والرافضين، نطرح التساؤلات التالية: بما أنّ الأدب أصبح آدابا بإضافة صفات له من قبيل التمييز، وانتشار المناهج النقدية الأدبية ذات التوجه الفكري الغربي، الليبيرالي، الرأسمالي، الاشتراكي ... ألا يحق للتحمسين أن يضيفوا صفة الإسلامي للأدب ليميزوه عن غيره من الآداب؟ وفي المقابل ألا يحق للرافضين أنْ يقفوا في وجه صفة "الاسلامي" في ظل تغيير مفهوم الأدب، والحديث عن عالمية الأدب والأدب العالمي؟ لنطرح بدورنا الإشكال الآتي: هل الرفض أو القبول ناتج عن بنية المصطلح العنوان، أم عن مضامينه الدلالية، أم الثقافية؟ وما الضير من استخدام هذا المصطلح؟ وما دلالة العنوان المركب "الأدب الاسلامي"؟

وللإجابة عن هذا الاشكال ارتأينا أن نقوم بقراءة ودراسة المصطلح العنوان "الأدب الإسلامي" للوقوف على بنيته تركيبته ودلالات ألفاظه، ومن ثمّ الخروج برأي يزيل اللبس حول هذا المصطلح. ووسمنا مداخلتنا بـ: قراءة في مصطلح "الأدب الاسلامي".

لماذا القراءة في المصطلح؟

بما أنّنا نبحث في مصطلح "الأدب الاسلامي" في محاولة للوقوف على وجهتي نظر طرفي الصراع؛ المؤيد والرافض لحضوره في الدراسات الأدبية، فإنّه ابتداء يجب البحث في مدلول مكونات هذا العنوان الكبير. وما دمنا قلنا عنوان، فبلا شك فهو لموضوع ونص طويل امتد عدّة قرون، ونعتقد أنّ اعتبار الأدب عمل مشترك لأدباء كُثر يسمح لنا بتناول مصطلح "الأدب الاسلامي" سيميائيا نبحث فيه كعلامة لغوية مكتوبة أو منطوقة.

السيميائية تبحث عن المعنى من خلال العلامات. والعنوان من حيث هو مصطلح هو علامة لغوية، يمثِّل نصًّا مكثفا يجب تحليله وتفكيكه ليتسنّى لنا الظفر بالمعنى أو المعاني (المدلول أو المدلولات) التي يحملها. ومن جهة أخرى، يؤدي وظائف عدّة: الاعلان عن محتوى النص، والإغراء، والتخصيص والتحديد، والايحاء. وهو عنوان مستفز يدعو إلى البحث والمعرفة. وهذا كلّ يسهم في تجلية المصطلح.

2. مصطلح "الأدب الاسلامي":

بما أنّ هذا مصطلح "الأدب الاسلامي" يتعلق بتراث امتدت دراساته من حيث الزمن لعدّة قرون دون أن يكون له هذا العنوان إلا في العصر الحديث. فما الذي أضافه أو سيضيفه لنا هذا العنوان؟ نعلم أنّ «العنوان يظهر معنى النص ومعنى الأشياء المحيطة بالنص، فهو من جهة يلخص المكتوب بين دفتيه ومن جهة ثانية يكون بارقة يحيل إلى الخارج - خارج النص-»[1] وهو كذلك «عتبة من عتبات النّص، أو مفتاحا من مفاتيحه، أو بابا نلج منه إلى العالم النصِّي ... العنوان إذن الرسالة الأولى أو العلاقة الأولى التي تصلنا أو نتلقاها من ذلك العالم بصفته آلة لقراءة النص الشعري ... فبين العنوان والنّص علاقة تكاملية ... فالعنوان نصّ مكثّف مخبوء في دلالاته ... خاضعاً لاحتمالات دلالية مختلفة»[2]. و«جميل حمداوي يرى أنّ العنوان هو المفتاح الذي يتسلّح به المحلل للولوج إلى أغوار النص العميقة قصد استنطاقها وتأويلها. وأنّ العنوان يعتبر نصًّا قائما يشير إلى نصّ مكتوب كما ينقل شعيب حليفي عن جينيت»[3]. وهنا بالذات تتحدد أهمية تحليل هذا المصطلح.

التمفصل المزدوج الذي يسمح لنا بتقطيع وتجزئة الجملة أو المنظومة اللغوية الدال إلى نوعين من الوحدات اللغوية: الوحدات الدلالية "المونيمات" (أصغر وحدة معنى، لها شكل صوتي دال)، والوحدات الصوتية "الفونيمات" (أصغر وحدة صوت، لها شكل كلامي صوتي، ولكنها فارغة من الدلالة والمعنى)، يسمح لنا بالقول أنّ العنوان المصطلح: "الأدب الاسلامي" من حيث هو وحدة دالة، يتكون من وحدتين (مورفيمين): الأدب + الاسلامي. لكلّ منهما دلالته الخاصة. فما دلالة "الأدب"؟ وما دلالة "الاسلامي"؟

1.2. دلالات لفظة الأدب:

حتّى القرن الثامن الهجري بقي النقاد العرب والمسلمون يربطون الأدب بالشعر، فهذا ابن خلدون يقول: «الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارهم والأخذ من كل علم بطرف»[4] وما ولج القرن التاسع عشر حتّى بدأ التحوّل وغدا «الأدب تعبير عن الحياة كلّها على طريقة نفسية محضة يراد بها أن تخاطب نفس نفسا بألفاظ من اللغة تروم بها التأثير والهز، وتنبيه النفس الانسانية النائمة في نفس الفرد لتوجهه إلى الغاية التي يرمي إليه الأديب بالضرب الذي اختاره من الأدب ليكون بيانا عن الحياة مهما اختلفت أنواعها وأشكالها ومقتضياتها»[5]، وعن حقيقته قالوا هي: «مرآة ناصعة صافية تنعكس عليها حياة أهله وما تأثروا به من أحداث عامة وظروف خاصة»[6]، فلابد من التسليم بأنّ «كلمة" أدب" من الكلمات التي تطور معناها بتطور حياة الأمة العربية وانتقالها من دور البداوة إلى أدوار الحضارة، وقد اختلفت عليها معان متقاربة حتى أخذت معناها الذي يتبادر إلى أذهاننا اليوم وهو الكلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به التأثير في عواطف القراء والسامعين سواء أكان شعرًا أم نثرًا»[7] وبالتالي تَحدَّد مجال الأدب بـ: «علاقتنا بالواقع وإحساسنا وتأثرنا به. ويختلف ذلك باختلاف الأدباء واختلاف أحوالهم الوجدانية، لذلك كانت تختلف النماذج الأدبية إزاء المنظر الواحد في

الطبيعة من أديب إلى آخر بمقدار ما يعكس في نفس كلّ منهم من أفكار ومعان ومشاعر وأحاسيس»[8] وبذلك فهو يقوم على «على الفردية أو الذاتية، وفيه يعبّر الأديب عن حسّه ويحاول جاهدا أن يكشف عن غوامض نفسه وغوامض عمله، بدون أن يتدخل أحد في إرادته»[9].

تقييم الأدب لا يخضع لمعايير موحدّة بين كلّ الأمم والنقاد، و« ما يُعَدُّ أدبًا رفيعًا عند أمة ما قد لا يُعَدُّ أدبًا أصلاً عند أمة أخرى؛ لهذا لم يستطع بعضُ المستشرقين أنْ يفهمَ عبقرية المتنبي مثلاً، ولا سر المكانة التي يتبوَّؤها عند العرب، حتى إنَّه رمى أمته كلها - أي الأمة العربية - بفساد الذَّوق، وأمام مثل هذا الموقف اضطر سلفستر دو ساسي إلى أن يكتب عن أهمية الأدب العربي، ويشرح لأبناء حضارته الغربية مظاهر تلك الأهمية، منبهًا إلى أنَّه لا ينبغي أن نطالبَ الشعر العربي بأكثرَ مِمَّا نطالب به الشعر الإغريقي أو اللاتيني»[10].

والاختلاف في التقييم طبيعي ما دام هناك اختلافًا في تعريف وتحديد الأدب في ذاته. فلدى العرب، لا يكاد الباحث يجد أيّ نص في العصر الجاهلي يستخدم كلمة «أدب»، وكل ما وُجد هو لفظة «آدِب» بمعنى الداعي إلى الطعام، قال طرفة:

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا تُرى الآدِب فينا يَنْتَقِرْ

وفي العصر الإسلامي يرد فعل "أدّب" بمعنى "هذَّب"، في حديث النبي صلى اللّه عليه وسلم «أَدّبني ربي فأحسن تأديبي». ويبدو أن المجاز قد ساعد في انتقال دلالة الكلمة من المعنى الحسي وهو الدعوة إلى الطعام إلى المعنى الذهني وهو الدعوة إلى المكارم. ويُداخل الكلمة في العصر الأموي، معنى جديد، إلى جانب معناها التهذيبي الخلقي هو المعنى التعليمي، فتستخدم في الإشارة إلى «المؤدِّبين» وهم نفر من المعلمين كانوا يلقنون أولاد الخلفاء الشعر والخُطب واللغة وأخبار العرب وأنسابهم وأيامهم في الجاهلية والإسلام. وبوجه عام يمكن القول إن الكلمة كانت تطلق في القرنين الثاني والثالث الهجريين وما تلاهما من قرون على معرفة أشعار العرب وأخبارهم[11].

ومنذ بداية المواجهة العربية. الأوربية الشاملة بُعيد الحملة الفرنسية على مصر، أصبحت الكلمة تُستخدم في العربية الحديثة للدلالة على ما يقابل كلمة "literature" الإنكليزية، و"Littérature" وهي تشير اليوم إلى "الأدب" بوصفه واحداً من الفنون الجميلة الستة أو السبعة، على اختلاف التعريفات ووجهات النظر والتوكيدات التي يلاحظها المرء لدى النقاد العرب ومؤرخي الأدب ودارسيه من العرب المحدثين.

ويمكننا تلخيص ما يحيل إليه الدال "الأدب" من مدلولات في الخطاطة التالية:

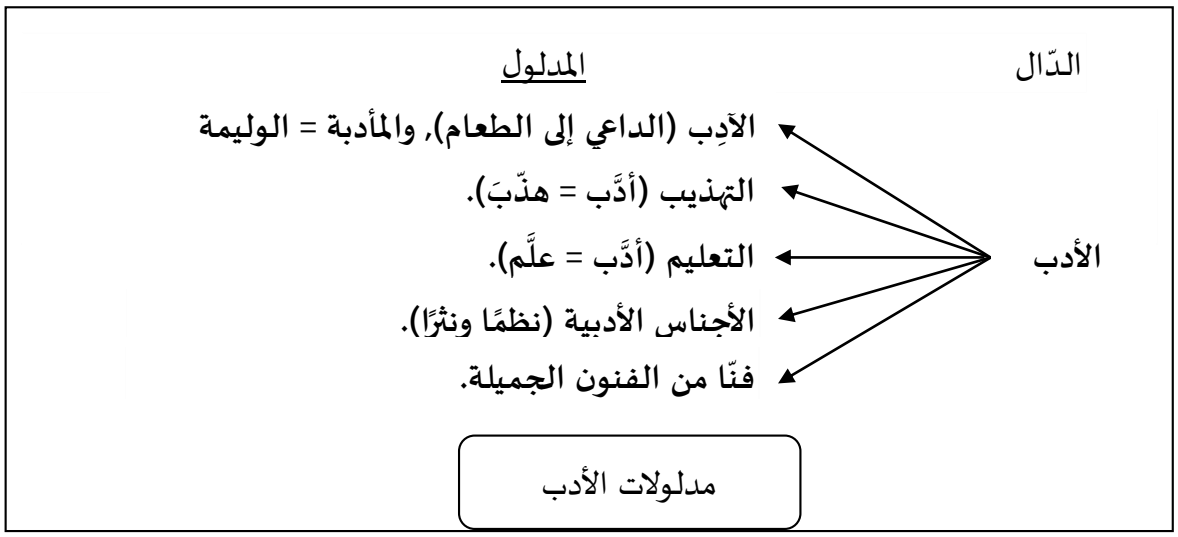

في الدراسات الحديثة يشير دلاليا إلى الجناس والأعمال الفنية ككلّ، وبالتالي نستثني هنا مدلول المأدُبة والتهذيب والتعليم، كي نبقى في دائرة البحث عن مسوغات هذا المصطلح.

2.2. مصطلح "الإسلامي":

مصطلح التراث، يُعدّ من بين أهم المصطلحات ذيوعا في حقل الدراسات النقدية والإنسانية المعاصرة. والأسباب مختلفة ليس هذا مكان سردها، ولكنها في الغالب تتعلق بمسائل التحرر والنهوض.

وإذا كان التراث «هو كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة»[12] أو هو: «هو روح الماضي وروح الحاضر وروح المستقبل بالنسبة للإنسان الذي يحيا به، وتموت شخصيته وهويته إذا ابتعد عنه أو فقده»[13]، فإنّ الاسلام إضافة لكونه دينا سماويا فهو تراث، وبهذه الشمولية فهو: ذلك المخزون الثقافي المتنوع والمتوارث من قبل الآباء والأجداد والمشتمل على القيم الدينية والتاريخية والحضارة والشعبية، بما فيها من عادات وتقاليد، سواء كانت هذه القيم مدونة في كتب التراث، أو مبثوثة بين أسطرها، أو متوارثة أو مكتسبة بمرور الزمن.

وهذا التراث الذي يحمل الصبغة الاسلامية ويمثل هوية الأمة وكيانها، كان دائما يطرح نفسه على الجميع بقوة. وسواء تفرق هذا الجميع إلى مناصرين لتيار الأصالة، أو رافعين للواء الحداثة - أو منادين بشعار المعاصرة – فإن حضور قضية التراث في وعي هؤلاء أو في لاوعي أولئك لهو حضور جوهري قوي، لأن العودة إلى التراث في حياتنا المعاصرة هي جزء من عملية الدفاع عن الذات، وهي عملية مشروعة، وتشترك فيها جميع شعوب الأرض، تبقى بذلك كيفية التعامل مع التراث، في العودة إليه وحدود توظيفه.. وهذه مسألة أخرى، أما الموقف الذي يجعل من التراث ضرورة من ضروريات حياتنا المعاصرة فيتعلق أساسا بمواجهة الذات نفسها.. إن الارتفاع إلى مستوى الحياة المعاصرة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية كافة، يتطلب من جملة ما يتطلب إعادة بناء الذات نفسها. وإعادة بناء الذات لابد أن تنطلق من إعادة بناء التراث من إعادة ترتيب العلاقة بينه. كشيء ينتمي إلى الماضي، وبين الحياة المعاصرة كشيء ينتمي إلى الحاضر والمستقبل

حيث: «يُعَدُّ التراث في مجمله رافدا ضروريا لإفادة الحاضر، واستكشاف المستقبل»[14]، ولعل الصواب أن نقول: «إن التراث هو نقطة البداية كمسؤولية ثقافية وقومية»[15]. لأنّ ما يمنح الأمة هويتها وكيانها يتوقف على مدى سريان التراث في عروقها. والاسلام بشموليته وتاريخه وحضارته تراث انساني يجب الحفر فيه.

لنرجع إلى لفظة الاسلام التي هي ربّما أثارت الجدل حين أُضيفت للأدب ونبحث عن دلالتها اللغوية لعل فيها ما يعكّر صفو الأدب. بالرجوع إلى القواميس العربية نجد أنّ "الاسلام" لغويا ترجع إلى الجذر الثلاثي (س ل م) مصدر السِّلم وتشترك لفظيا (الاشتقاق الأصغر) مع السلام، وسالم، وسليم، والاسلام ومسلم ومسالم وغيرها، وكلّها تحيل إلى الأمن والاطمئنان الانقياد والرضى والخضوع وو...، فإنّها في الجانب الدلالي حينما تطلق تحيلنا إلى عدّة مدلولات؛ من حيث هي مصطلح تحيلنا مباشرة إلى الدين السماوي الذي اعتنقه ويعتنقه لأكثر من أربعة عشر قرنا مئات الملايين من سكان الأرض، ولكن حينما يطلق في وسط الباحثين المتخصصين (الاجتماع، والنفس، والفلسفة، والتاريخ ...) فمباشرة يطرح السؤال التالي: هل المقصود القيم والمبادئ، أم التشريع والأحكام، أم التاريخ والحضارة، أم التراث، أم المعاملات والسلاك، أم اللسان العربي؟ وغير ذلك حسب الاهتمامات. على الرغم من شمولية الاسلام كلّ هاته المناحي، وعلماؤه كتبوا في كلّ المجالات الانسانية والعلمية، فإنّ لغة التخصص هي التي فرضت هذا التقسيم أو التوجه. ويمكننا تلخيص ذلك في الخطاطة التالية:

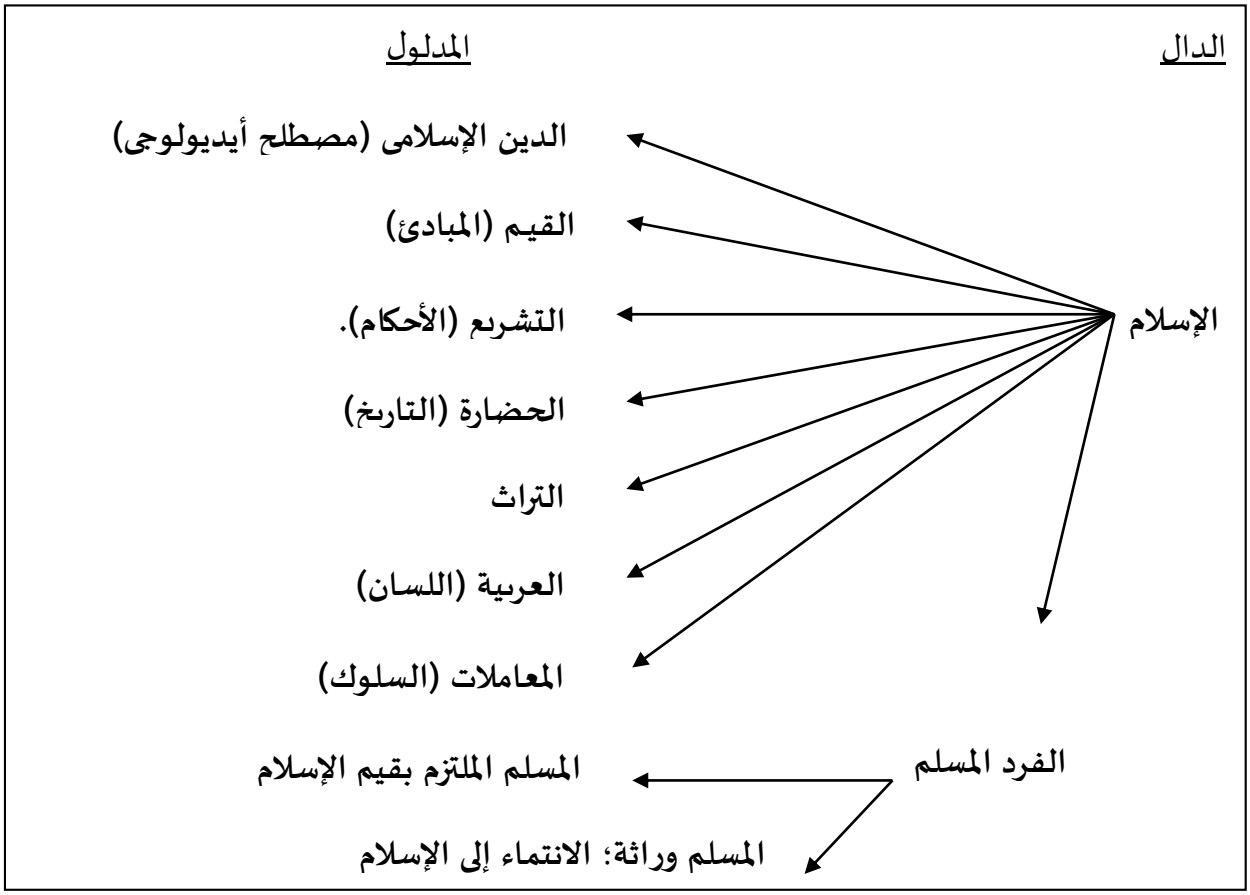

نلاحظ من الخطاطة أنّ لفظة الاسلام لم تُحِلْ إلى الجغرافيا ولا إلى اللغة القومية ولا إلى الأعراق البشرية، لكونه عالميا للإنسانية جمعاء؛ قال تعالى وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين.

3. الأدب الاسلامي:

الأدب الاسلامي من حيث هو مصطلح يرى كثير من الدارسين أنّه كائن لا يتجاوز العقدين الأخيرين، بعد أن انتشرت حمّى المصطلحات التي قسّمت الفكر والأدب في محاولة للبحث عن قدم سبق للتأثير في مجريات الأحداث عموما. هذا المصطلح ليس له مكان في كتابات وآداب المسلمين، التي امتدّت عبر قرون - عدا ما أشار إليه البعض بأنّه أدب صدر الاسلام حتّى العصر الأموي-، وهو في ذلك سواء مع مصطلح "الأدب العربي" الذي بزغ في دراسات المستشرقين. فهذا عبده زايد - وهو بِصَدد تَحْدِيد الْمَدى الزَّمنِي للمصطلحَيْن – إذا «رجَعْنا إلى الوراء نُفَتِّش عن بدايات ظهور" الأدب العربِيّ"، فإنَّنا سنجد أنَّ هذا المصطلح جديدٌ نسبيًّا؛ فمدى عِلْمي أنَّه ظهر في القرن الميلاديّ الماضي) التَّاسع عشر (على ألْسِنَة المستشرقين، الَّذين كانوا عاكفين على آداب الشَّرق جمْعًا وتحقيقًا، ودَرْسًا وتأريخًا، وأن الذين كَتبوا في" تاريخ الأدب العربِيّ - "تَحْت هذه اللأَّفتة - من العرب، كانوا تابعين لا مُبْتكرين، وأنَّ الكتابات العربيَّة الأُولى في" تاريخ الأدب العربِيّ"، لم تَكُن على أيدي المسلمين، فقد بدَأَها" جُرْجي زيدان "في مجلَّة" الهلال"، بدءًا من العدد التاسع من السنة الثَّانية لِصُدورها، وكان ذلك عام 1894م، فإذا قيل عن مصطلح الأدب الإسلامي: إنه مصطلَحٌ مبتدَع لَم يعرفه أسلافُنا؛ فإنَّ مصطلح" الأدب العربي "مبتدَعٌ، لَم يعرفه أسلافُنا أيضًا»[16]

لندع التحكيم التاريخي جانبا، وبعد أن عرفنا مدلول لفظة "الأدب" ومدلول لفظة "الاسلام"، لنتساءل: لماذا يرض بعض النقاد مصطلح "الأدب الاسلامي"؟ وفي محاولة للإجابة نأخذ ما جاء في بحث مرزوق بن صنيتان بن تنباك المعنون بـ: "إشكاليات الأدب الإسلامي" وفي خلاصته وتحت عنوان: لماذا يُرفض مصطلح الأدب الإسلامي ؟ أجاب:

1. المصطلح خروج على كل ما أقرته الأمة الإسلامية وقبلته من فنون الآداب، ولم يكن للمصطلح مسوغ شرعي أو نقدي ، ولم يُعرف مثله في تاريخ الآداب الإنسانية والعربية والإسلامية.
2. المصطلح يعلن الأسس الطائفية والمذهبية في الأدب الأمر الذي لم يسبق مثله في كل العصور وفي كل الأمصار ولا يمكن إقرار مثل هذه الطائفية الأدبية.
3. قتل ملكات الإبداع لدى الشباب بما يسمونه الالتزام وتحديد أطر ضيقة للشعر والنثر لا يتجاوزها المبدع إلى غيرها من فنون الأدب كلها إلا ما يسمونه الاتجاه الإسلامي وهو اتجاه يخصص شمول الإسلام برؤية ضيقة محدودة.
4. تضييق دائرة المباح أمام الناس بينما القاعدة الشرعية تنص على أن الأصل في الأشياء كلها الإباحة.

5. حمل الناس على محامل الشك وتلمس الأخطاء وتفسيرها بسوء الظن وتصنيف عامة المسلمين في الحاضر والماضي إلى أصناف لا يقبلون منهم إلا صنفهم وحده.

6. التشويش على الماضي الذي لا يوافق منهجهم والتوجه إليه بالتزييف والتجريح مهما كان معناه ومهما كان حظ قائله من العلم والفقه والتقوى.

7. حمل الناس في الأدب والدين على رأي محافظ ضيق الأفق أحادي النظرة شديد التزمت والانغلاق بعيد عن سماحة الإسلام وسعة رحمته بالناس، والهوس النفسي بتزكية الرؤية الخاصة وعدَّها الصواب وغيرها الخطأ.

8. أثبتت التجربة الإبداعية عند أدباء هذا المنهج فشلها وتحجر معانيها وضعف قدرتها على القيام بأدنى درجات القبول الفني فيما قدموا من صور الإبداع الفني في الشعر والنثر.

موضوعيا يمكن مناقشة كلّ نقطة والردّ عليها، فإذا كانت بعض النقاط يمكن قبولها بتحفظ، فإنّه يظهر من بعضها الآخر تحامل غير مؤسس وأحكام غير دقيقة.

ولمعرفة الرأي المناصر والمتحمس لمصطلح "الأدب الاسلامي"، استوضحنا عن حقيقة الأسس والمعالم التي تحدّده فوجدناها من خلال ما كتبه "على صبحى" و"محمد عبد المنعم خفاجى"، في كتاب: "الأدب الإسلامي المفهوم والقضية" كما يلي[17]:

1. التجربة الشعرية إزاء موقف إنساني معين.
2. الخواطر والأفكار التي تمتد جذورها إلى شريعة الإسلام.
3. العاطفة الصادقة التي تعبر عن إخلاص الأديب وصدقه.
4. اللفظ الفصيح الصحيح المجرد من الخطأ واللحن والسوقية والعامية.
5. الوجدان المفعم بالقيم الإسلامية الثري بخلق القرآن والسنة.
6. الأسلوب البليغ والنظم الدقيق، الذي يتخذ القرآن مثله الأعلى.
7. التصوير الأدبي المحكم بالخيال والعقل معا، فلا يترك العقلُ الخيالَ منطلقًا في جموحه ومبالغته، ولا يترك الخيالُ العقلَ يعتمد على مقاييسه المجردة وبراهينه الجافة المترتبة على المقدمات والمسلّمات، وإنّما يتعاون العقل والخيال معا في توازن واتزان لصوغ الصورة الأدبية المتنوعة من استعارة وكناية وتشبيه ومجاز، أو غير ذلك من تقديم وتأخير، وتعريف وتنكير، واسمية وفعلية وما شابهه من أبواب "علم المعاني" وروعة النظم.

8. الإيقاع الموسيقي، وهذا يختلف حسب اختلاف الفنون الأدبية فالموسيقى في الشعر تنصرف إلى الوزن العمودي من البحور العروضية والقافية، والإيقاع في القصة والأقصوصة والمسرحية النثرية وفن السيرة الأدبي ينصرف إلى جمال النسق في التعبير، وتسلسل الأحداث ونموها وتطورها تطورًا واقعيًا، يترتّب الحدث على الحدث حتى تأزم الأحداث في العقدة والأزمة مما يدفع القارئ إلى تشوق الحل واستعجاله. والإيقاع في المقال الأدبي ينصرف إلى روعة التصوير الأدبي، وقصر الفقرات والجمل، ووضوح المعاني وجلاء الأفكار.

وفي قراءة لهذه الأسس يتبين أنْ لا فروق كبيرة بين هذا الأدب والتراث الأدبي الذي ورثناه، عدا نقطة يمكن مناقشتها وهي بين الالتزام والالزام، فلماذا أنشأوا هذا المصطلح إذا؟ ولماذا رفضه المعرض له؟ هل القضية قصّة مصطلح أم مضمون؟ وهل هذا المصطلح لا يتضمن الأدب العربي؟

يمكننا القول أنّه لا مسوغ لرفض مصطلح "الأدب الاسلامي"، لعدم وجود ما يتناقض مع إنسانية الانسان وعالمية الأدب في كلّ المدلولات التي أحالتنا إليها لفظة الاسلام، وبما عرفناه من أسس ومعالم التي حدّدها أصحابه له.

مع هذا لابد من تلتمس العذر لأولئك الذين يرفضون مصطلح "الأدب الاسلامي"، خوفا عليه لا رفضا له أو لمضمونه، حتّى لا يُحشر في الزاوية ويُقصف من كلّ حدب وصوب. أمّا أولئك الذين يرفضون المصطلح لفظا ومضمونا، تزمتًا وحقدا، نقول أنّ لفظة "الاسلام" تحمل مدلولات مكثّفة؛ قيما انسانية وحضارة تاريخية واهتمامات عالمية بالإنسان، لا تفسد الأدب ولا تمجّه بل تثمّنه وترفعه، وما الرفض إلا نتاج صراع أيديولوجي (فكراني) يتزعمه الأدب الغربي بكلّ مسمّياته، علما أنّ «المراجع الأساسية للفكر الغربي (أيديولوجيا تُسمّى بالفكر اليهودي-المسيحي) تنتمي لنفس المصدر - إذا اتبعنا خُطى المؤرخين الجادين هو الفكر اليوناني القديم»[18] كما جاء على لسان "برنار توسان" أحد علماء الفكر الغربي. والأكيد أنّ هذا الرفض غير المبرر علميا يزيد المتحمسين له قناعة به، وتأكدًا أنّه لن يُقبلَ المصطلح إلاّ أن يستفرغ من محتواه، وتتحول مدلولاته إلى قيم غير اسلامية (غربية)، وهذا ينقلنا بعيدا عن الأدب الأصيل المروث.

4. خاتمة:

إنّ القراءة في مصطلح "الأدب الاسلامي" التي تمفصلت حول مصطلحي "الأدب" و"الاسلام" سمحت بتجلية مدلوله الذي يعدّ عالميا حضاريا قِيَمِيًّا لا يتنافى مع أيّ دين أو لغة أو جغرافيا، ولا يحمل في طيّاته تناقضا يجعل البعض يعارضه أو يعاديه. وبما أنّ هناك توجها عالميا للأدب بمسميات مختلفة تحمل في طيّاتها أيديولوجيا. لِمَ لا يكون الأدب الاسلامي من ضمن هذه المسمّيات التي تحمل أيديولوجيا كذلك. أم يجب مسخ هذا المصطلح وحذفه حتّ لا يرجع بنا إلى موروثنا؛ تلك الحضارة الأدبية الراقية، التي أنارت البشرية من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب. مع ضرورة أن ينتبه أولئك المدافعون عن هذا المصطلح على تنقيته من كلّ الشوائب التي علقت به، ويصنّفوه تصنيفا حديثا.

النقاد والدارسون مسؤولون عن تقويم ما اصطلح عليه بالأدب الإسلامي، وعليهم إبراز عناصره، وتقدير أهميته، في صياغة الشخصية التي تنتمي إلى تراثنا الأصيل، وبناء الذوق السليم، والناقد والأديب شريكان في عملية البناء هذه. لا تقديسه ككلّ أو رفضه وإقامة صراع معه أو حوله.

الهوامش:

[1] علي محمد عودة عن كريفال، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، المجلد الخامس عشر، العدد الأول، يناير 2007، ص149.

[2] خليل موسى، قراءات في الشعر العربي الحديث، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا، 2000، ص 73 و74.

[3] علي محمد عودة عن كريفال، المرجع السابق، ص 150.

[4] ابن خلدون: عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، ط1، دار الفكر، بيروت، 1981، ص763.

[5] محمود محمد شاكر، جمهرة مقالات العرب، مكتبة الخانجي القاهرة، دت، ج2، ص819.

[6] شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، ط10، دار المعارف، القاهرة، مصر، دت، ص11.

[7] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ط9، دار المعارف ص3.

[8] شوقي ضيف، في النقد الأدبي، ط9، دار المعارف، القاهرة، مصر، دت، ص.69.

[9] شوقي ضيف، في النقد الأدبي، المرجع السابق، ص210.

[10] حسن الأمراني، مجلة المشكاة، الملتقى الدولي للأدب الإسلامي، ص 34، ط 1، 1998م.

[11] https://ar.wikipedia.org/wiki/ بتاريخ : 2016/01/18. مادة: أدب.

[12] حنفي حسن، التراث والتجديد وموقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط5، 2002م، ص13.

[13] إسماعيل سيد علي، أثر التراث في المسرح المعاصر، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دار المرجاح (الكويت)، (د ط)، 2000م، ص40.

[14] بوجمعة بوبعيو، توظيف التراث في الشعر الجزائري، منشورات مخبر الأدب العربي القديم والحديث، جامعة باجي مختار، عنابة، مطبعة المعارف، عنابة، الجزائر، 2007م، ص13.

[15] حنفي حسن: المرجع السابق، ص13.

[16] مقال: "بين الأدب العربي والأدب الإسلامي، تاريخ المصطلح والدلالة"، مجلّة الأدب الإسلامي، ع: 6 -1995م، ص 5.

[17] على صبحي ومحمد عبد المنعم خفاجى، الأدب الإسلامي المفهوم والقضية، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992، ص11-12.

[18] برنار توسان، ما هي السيميولوجيا، ط2، تر: محمد نظيف، أفريقيا الشرق، المغرب، 2000، ص37.

المصادر والمراجع:

1. ابن خلدون: عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، ط1، 1981.
2. على صبحي ومحمد عبد المنعم خفاجى، الأدب الإسلامي المفهوم والقضية، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992.
3. برنار توسان، ما هي السيميولوجيا، تر: محمد نظيف، أفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2000.
4. خليل موسى، قراءات في الشعر العربي الحديث، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، دط، 2000.
5. محمود محمد شاكر، جمهرة مقالات العرب، مكتبة الخانجي القاهرة، دت، ج2.
6. شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف، القاهرة، ط10، دت..
7. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، القاهرة، ط9، دت.
8. شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط9، دت.
9. حسن حنفي، التراث والتجديد وموقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط5، 2002م.
10. إسماعيل سيد علي، أثر التراث في المسرح المعاصر، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دار المرجاح، الكويت، دط، 2000.0.
11. خليل موسى، قراءات في الشعر العربي الحديث، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، دط، 2000.
12. مجلّة الأدب الإسلامي، ع: 6 -1995.

13. بوجمعة بوبعيو، توظيف التراث في الشعر الجزائري، منشورات مخبر الأدب العربي القديم والحديث، جامعة باجي مختار، عنابة، مطبعة المعارف، عنابة، الجزائر، 2007..
14. حسن الأمراني، مجلة المشكاة، الملتقى الدولي للأدب الإسلامي، ص 34، ط 1، 1998م.
15. علي محمد عودة عن كريفال، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، المجلد الخامس عشر، العدد الأول، يناير 2007.
16. https://ar.wikipedia.org/wiki/